

الفصل العاشر

أبرز رواد التاريخ الحديث من الجامعيين

تحمل عبء تطوير الحركة التاريخية في مصر اساتذة اعلام ، ومؤرخون ثقات كان لهم فضل الريادة والأستاذية المبرزة ، وستظل أسماؤهم مقرونة بأعمالهم في خدمة النهضة التاريخية في مصر ، كما ستظل مؤلفاتهم نبراسا يهتدى به من يأتي بعدهم ويكفى أن نذكر من هؤلاء : محمد شفيق غربال رائد الحركة التاريخية في مصر ، وحسن عثمان المؤرخ الفنان المولع بالادب الانساني ، واحمد عزت عبد الكريم صاحب اليتبوع الدافق من العلم والخلق والانسانية ، ومحمد احمد انيس صاحب الحس التاريخي المرفه الذي تخطى الحواجز ، وعالج العديد من الأمور التي كانت محظورة في تاريخ مصر .

وفيما يلي نعرض لهؤلاء الاعلام .

الأستاذ محمد شفيق غربال

١٨٩٤ - ١٩٦١

ولد محمد شفيق غربال بمدينة الاسكندرية في عام ١٨٩٤م ونشأ وتلقى تعليمه الابتدائي والثانوي في مدارسها ثم اختار الالتحاق بمدرسة المعلمين الخديوية العليا بالقاهرة حيث وجد فيها - كما يذكر - المعهد الذي يصله بالدراسات الانسانية - وتخرج فيها عام ١٩١٥ ثم أوفدته الحكومة المصرية في بعثة دراسية لدراسة التاريخ الحديث بجامعة ليدربول بإنجلترا ابان الحرب العالمية الاولى .

ومع فداحة الخطر التي كان يتعرض لها العالم في خلال هذه الفترة ، وعلى الرغم من مصاعب السفر خلال تلك الآونة فان غربال لم يتردد في

الذهاب الى انجلترا ليواصل دراسته للتاريخ هناك^(١) وقد استطاع ان يثبت مقدراته فحصل على درجة البكالوريوس بمرتبة الشرف في عام ١٩١٩ وعاد الى مصر ليعمل مدرسا باحدى المدارس الثانوية بالاسكندرية لمدة ثلاث سنوات اوفد بعدها مرة اخرى الى انجلترا للدراسة للحصول على درجة الماجستير بجامعة لندن ثم بمعهد البحوث التاريخية التابع لهذه الجامعة ، وخلال ذلك التقى بالمؤرخ البريطانى الشهير « ارنولد توينبى » الذى كان يشرف على بحوث الدراسات العليا هناك ، ويذكر توينبى نفسه منذ لتائه الأول به وجد فيه طالبا موهوبا وانه تعلم من شقيق غربال اكثر مما علمه ، وانه تنبأ انه سيكون فى مستقبل حياته باحثا واساتذا ، كما تنبأ بمسلكه الاخلاقى الذى تميز به ، وبكونه موضوعى التفكير ، مستقلا فى الراى ذا حزم وعزم فيما يتصل بالعمل الذى يتناوله^(٢) .

ومن المعروف ان توينبى اشرف على رسالة غربال للماجستير التى حصل عليها فى عام ١٩٢٤ وكانت بعنوان

The beginning of the Egyptian Question and the Rise of Mehemet Ali .

وبعد ان عاد غربال الى مصر فى عام ١٩٢٥ عين مدرسا للتاريخ الحديث فى مدرسة المعلمين العليا ، وهناك بدا فى تدريس تاريخ الحضارة الاسلامية والكتابة فى هذا المجال^(٣) ثم نقل استاذًا مساعدا للتاريخ الحديث بكلية الآداب بالجامعة المصرية فى عام ١٩٢٩م ثم ما لبث ان رقى بها استاذًا للتاريخ الحديث فى عام ١٩٣٦ فكان بذلك اول مصرى يتولى هذا

(١) من كلمة الاستاذ محمد فريد ابو حديد فى مجمع اللغة العربية بالقاهرة فى حفل تأبين الاستاذ محمد شفيق غربال .

(٢) انظر كلمة الاستاذ ارنولد توينبى فى مجمع اللغة العربية بالقاهرة اثناء حفل تأبين الاستاذ غربال .

(٣) كتب غربال فصلا بالانجليزية عنوانه « الآراء والحركات فى التاريخ الاسلامى » .

Ideas, Movements in Islamic History .

ضمن كتاب منشور ظهر فى امريكا فى عام ١٩٥٨ وعنوانه « الاسلام الدين القويم » .

المنصب بالجامعة خلفا للمؤرخ الانجليزى « جرانت » ، ومن هنا بدأ غربال يشق طريقا طويلا فى خدمة الدراسات التاريخية المصرية ، وفى نقل الاشراف على هذه الدراسات من يد القصر الملكى والمؤرخين الاجانب الى يد الجامعة فبدأ فى تكوين المدرسة التاريخية المصرية ، وتمصير الدراسات الخاصة بالتاريخ المصرى وخاصة بعد انشاء الدراسات العليا للماجستير والدكتوراه بالجامعة واشرافه وتوجيهه للبحوث التاريخية .

وقد تمكن غربال بفضل مقدراته العلمية ، ودقة ملاحظته وقوة تأثيره على طلابه ، أن تكون له الريادة الفكرية للمدرسة التاريخية فأقبل عليه تلاميذه بشغف ، وأخذ يمنحهم من علمه وفكره ما ينير لهم السبيل دون أن يرضن على أحد منهم بما يعلمه أو يصد عن بابيه طالب علم ، فدفع ذلك تلاميذه الى السعى للحاق به والسمو الى قرب قمته من طريق الحرص على الاجادة وتوخى الدقة^(٤) ولم تقتصر جهود غربال فى الجامعة على الناحية العلمية بل تعدتها الى نواحى النشاط الاجتماعى حين سار وكىلا للاتحاد العام لطلاب الجامعة المصرية^(٥) وبذلك كان لغربال فضل عظيم فى توجيه اجيال متعاقبة من تلاميذه الذين اخلصوا له الاجلال والتقدير وامتد فضله من طريقهم الى العديد من ابناء هذه الامة^(٦) .

اما عن الرسائل العلمية التى اشرف عليها غربال فهى متعددة وقد ارتبط جلها بالعصر العثمانى وعصر محمد على ويرجع ذلك الى أنه بسبب اهمال المؤرخين دراسة هذه الفترة فى ذلك الوقت دعا غربال طلابه الى الاهتمام بدراسة التاريخ العثمانى باعتباره مدخلا لدراسة التاريخ المصرى الحديث كما وجههم الى الاهتمام بدراسة تاريخ القرن التاسع عشر بصفة عامة وعصر محمد على بصفة خاصة خصوصا وان نبض الحياة المصرية

(٤) المجلة التاريخية المصرية ، المجلد التاسع عشر ١٩٧٢ مقال للدكتور أحمد عزت عبد الكريم تحت عنوان محمد شفيق غربال أستاذ جيل وصاحب مدرسة ص ٢٦ .

(٥) مذكرة مقدمة من كلية الآداب جامعة القاهرة بترشيخ الأستاذ غربال لجائزة الدولة التقديرية سنة ١٩٦٠ م .

(٦) أبو حديد : المقال السابق ص ١٥٤ — ١٥٥ .

قد اشدت في ذلك العصر ، كما أن التطورات السريعة والمتلاحقة التي وقعت بمصر خلاله قد أحدثت فيها ما يشبه الثورة في كافة مناحي الحياة بها .

ونتيجة لذلك خرج على يد غربال العديد من الدراسات الأكاديمية في هذه الموضوعات نذكر منها الدراساتين اللتين قدمهما محمد رفعت رمضان ونال بهما درجتى الماجستير والدكتوراه وهما « ثورة على بك الكبير » (٧) و « مصر والدولة العثمانية دراسة تاريخية للعلاقات السياسية بين الطرفين من ١٨٤٠ — ١٨٦٣ » .

والدراسة التي قدمها حسن عثمان للماجستير تحت عنوان « فخر الدين بن معن الثاني أمير لبنان » .

والدراسين اللتين أعدهما أحمد الحقة للماجستير والدكتوراه « الفلاح المصرى في عهد محمد على » و « تطور الزراعة المصرية في النصف الأول من القرن التاسع عشر » .

والدراسين اللتين قدمهما أحمد عزت عبد الكريم ونال بهما الماجستير والدكتوراه وهما « تاريخ التعليم في عصر محمد على » و « تاريخ التعليم منذ أواخر عصر محمد على إلى أوائل حكم توفيق » .

والدراسة التي أعدها أبو الفتوح رضوان للماجستير وعنوانها « تاريخ مطبعة بولاق » والدراسة التي قدمها محمد محمد توفيق للماجستير تحت

(٧) نشرت هذه الدراسة في عام ١٩٥٠ ، وهى تعالج فترة غامضة من تاريخ مصر في النصف الثانى من القرن الثامن عشر ، وتوضح أنه في عهد على بك الكبير أصبحت لمصر شخصية متميزة فلال مرة في العصر العثمانى الأول اتصلت مصر مباشرة بالسياسة الخارجية فنجح على بك في عقد اتفاقات جهركية مع الانجليز ، كما حاول عقد معاهدات سياسية مع روسيا وجمهورية البندقية .

للتفاصيل أنظر محمد رفعت رمضان : على بك الكبير ، القاهرة ، ١٩٥٠ ص ٢٣٢ .

عنوان « مصطلح وثائق تاريخ الحكم العثماني ^(٨) في مصر » والدراسة التي أعدها فائق جبرة للماجستير تحت عنوان « ضرائب الأتليان المصرية في عهد محمد علي » والدراسة التي قدمها أمين عفيفي للدكتوراه بعنوان « تجارة مصر في عهد محمد علي » .

والدراسة التي قدمها عياد دوس للماجستير بعنوان « الفتح المصري للسودان في عهد محمد علي » والدراسة التي قدمها عبد العزيز الشناوى للماجستير تحت عنوان « السخرة في حفر قناة السويس » .

ولغريبال مؤلفات ليست بالكثيرة ولا بالضخمة ولكن ما كتبه يقترن دائما باسمه ومن هذه المؤلفات رسالته للماجستير بدايات المسألة المصرية وظهور محمد علي

The Beginnings of the Egyptian Question and the Rise of Mehemet Ali

وقد كانت هذه الدراسة حدثا علميا استرعى انظار الأساتذة والباحثين وخاصة انها اتسمت باستقراء الاحداث والفحص العلمى والمقارنات والناحية التحليلية ، وكثرة المصادر والاسانيد كما اتسمت بالحياد في تقويم الأشخاص والبعد عن التحامل والعواطف .

وقد استطاع غريبال في هذه الدراسة تناول التطورات السياسية في مصر منذ الحملة الفرنسية حتى وصل محمد علي الى الباشوية ، واثبت ان المسألة المصرية كانت جزءا هاما من المسألة الشرقية ، وانه لا يمكن فهم هذه المسألة الا اذا ربطنا بينها وبين ما كان يجرى في الدولة العثمانية وأوروبا وهى الطريقة التى سار عليها أستاذاه توينبى في مؤلفاته وهى انه

(٨) قدمت هذه الدراسة لنيل درجة الماجستير من كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول وأهم ما يميزها ان بها دراسة عن خط القيمة فضلا عن قاموس خاص بمصطلحات خاصة بالعصر العثماني وللأسف لم يتم نشر هذه الرسالة حتى الآن .

(٩) لا تزال هذه الدراسة باللغة الانجليزية ولم تترجم الى العربية بعد .

لا يمكن للباحث أن يدرك كنه حقيقة تاريخ أمة من الأمم إذا هو قصر بحثه على تاريخ هذه الأمة واكتفى بتتبع الحوادث التي وقعت فيها وحدها خصوصا أن حوادث العالم متشابكة فلا تقع حادثة في بلد من البلدان إلا امتدت آثارها إلى البلدان الأخرى بدرجات متفاوتة قد تكون قوية أحيانا، وغير مؤثرة في أحيان أخرى .

وتظل هذه الفترة بالذات محور اهتمام غربال ففى عام ١٩٣٢ كتب بحثا بعنوان « الجنرال يعقوب والفارس لاسكارس » أوضح فيه مشروع استقلال مصر الذى حمله معه « يعقوب حنا » بعد خروج الفرنسيين من مصر .

وفى الثلاثينات من هذا القرن نشر غربال دراسة تحت عنوان « مصر عند مفترق الطرق — رسالة حسين أفندى الروزنامجى » وتشتمل هذه الدراسة على تحقيق مخطوط بعنوان « ترتيب الديار المصرية فى عهد الدولة العثمانية كما شرحه حسين أفندى أحد أفندية الروزنامة فى مصر العثمانية » وهو عبارة عن أسئلة موجهة من « المسيوستيف » مدير مالية مصر خلال الحلة الفرنسية إلى حسين أفندى حول أحوال مصر الإدارية والمالية واجابات حسين أفندى عليها (١٠) .

وقد مهدت دراسة هذا المخطوط الطريق لكل من تصدى لتاريخ مصر بالدراسة ، وأكدت أن شفيق غربال كان محققا من الطراز الأول ، كما أوضحت مدى فهم غربال الصادق لحقائق التاريخ المصرى ، وإيمانه بدور مصر الحضارى .

ويستمر غربال فى دراسته عن هذه الفترة فيخرج كتابا بعنوان محمد

(١٠) انظر مجلة كلية الآداب : المجلد الرابع ج ١ ، مايو ١٩٣٦

ص ١ — ٧١ .

والجدير بالذكر أن الاستاذ الأمريكى ستانفورد شو Stan Ford Shaw قد قام بنشر هذا المخطوط فى عام ١٩٦٤ تحت عنوان .
Ottoman Egypt in the Age of French Revolution .

على الكبير ^(١١) وفيه وصف للمناخ الذى كانت تعيشه مصر قبيل عصر محمد على ، ونجاح محمد على فى اقامة سلطة مركزية تجمع كل القوى المتصارعة فى اطار واحد ، وقيامه بحركات اصلاحية وعمرانية واسعة فى شتى المناحي حتى عادت مصر كما كانت مهدا الحضارة ، كما وصف الصفوة المثقفة التى ارسلها محمد على الى اوربا لدراسة العلوم الحديثة وعادت الى مصر لتطبيق العلم على العمل بانها ساعدت فى النهوض بالزراعة والصناعة وبناء الجيش والاسطول واخذت عبقريتها تدب فى جسم مصر وروحها كما تدب الخيرة فى العجين ، واوضح ان ما قام به محمد على من اصلاحات فاق ما كان يقوم به الفرنسيون لو امتد حكمهم فى مصر ، ثم ارجع نجاح محمد على فى اصلاحاته وفشل السلطان العثمانى محمود الثانى فى الاصلاحات التى قام بها فى تركيا الى ان محمد على كان يعتمد على ثلاثة ايسس وهى : القوة ، والعلم ، والمال فى حين اعتمد السلطان العثمانى على القوة العسكرية وحدها .

اما عن مساوئ السخرة والاحتكار وقصر المناصب العليا على الارستقراطية العثمانية وغير ذلك فقد بررها غربال بأنه كان لابد من التضحية بجيل اوجيلين فى سبيل بناء حكومة قوية ومعبرة فى مصر .

واما عن مواقف محمد على من السلطنة العثمانية فقد رأى غربال ان محمد على وهو قائد عثمانى مسلم كان لابد له من مساعدة الخليفة العثمانى على اصلاح دار الاسلام وعلى الاحتفاظ بها مصونة ضد غزوات اعداء الاسلام وأنه ظل على ايمانه بهذا الموقف حتى فقد الثقة بالسلطان بعد صلح كوتاهية فى عام ١٨٣٣ ، وبدأ يفكر فى الانفصال عن الدولة العثمانية ، وعلان استقلال ما يسمى « عربستان » اى البلاد العربية عنها ولكنه كان يتردد فى اتخاذ هذه الخطوة خشية ما يترتب عليها من مخازير .

وعند تحليلنا لما كتبه غربال عن محمد على نجد انه تأثر تأثيرا واضحا بأستاذه توينبى فى ايمانه بدور الصفوة المبدعة فى مجالات النشاط البشرى ،

وينظرته عن فكرة التحدي والاستجابة Challenge and Response
حين تطرق الى معالجة العلاقات بين الشرق والغرب .

والى جانب ذلك نجد للاستاذ غريال دراسة قيمة تحت عنوان
« تاريخ المفاوضات المصرية البريطانية » ، وهى عبارة عن بحث فى العلاقات
المصرية البريطانية منذ الاحتلال سنة ١٨٨٢ الى معاهدة التحالف المصرية-
البريطانية فى عام ١٩٣٦ ^(١٢) وهو كما يرى صاحبه فى مقدمته « محاولة
لتركيب صورة واضحة من الحوادث والوقائع والسياسات والخطط والبواعث
والاغراض والأمانى والأحلام والشهوات التى توالى على مصر ، والتى
يتكون منها تاريخ العلاقات بين مصر وانجلترا » .

ويلاحظ فى هذا الكتاب بصفة عامة انه بحث علمى مدعم بالوثائق
والتحليلات العلمية البعيدة عن التحيز المعروضة بأسلوب مشوق جذاب .
وفى فصول هذا الكتاب تعرض غريال للمفاوضات المصرية البريطانية بصفة
عامة ، وبين كيفية نشأتها وكيف رضى الانجليز والمصريون على أنها
وسيلة لتحقيق الأمانى وصيانة المصالح ، وتعرض للحدثات التى ساربت
المفاوضات ، وقدم وصفا موجزا للسياسة العامة للاحتلال تجاه المصريين
ثم تطرق الى العلاقات المصرية البريطانية ابان الحرب العالمية الأولى
بصورة مبدعة ووصف المبررات التى استندت إليها انجلترا كى تفرض
حمايتها على مصر . وموقف الزعماء المصريين من ذلك ، كما تعرض المؤلف
للتحفظات الأربعة التى صاحبت انتهاء الحماية فى فبراير ١٩٢٢ ، وتوقفه
عند عقد معاهدة ١٩٣٦ .

ومع أن كتاب الأستاذ غريال يعتبر فريدا من نوعه من حيث الموضوع
وطريقة عرضه وتدعيمه بالوثائق ، وكثرة التحليلات المدعمة بوجهات
النظر المختلفة ، التى تؤكد فهم غريال الصادق لحقائق التاريخ المصرى
يؤخذ على هذا الكتاب أن صاحبه لم يتعرض كثيرا للظروفت الدولية العامة

(١٢) نشرته مكتبة النهضة المصرية فى مايو ١٩٥٢ اى قبيل ثورة يوليو
بشهرين .

ذات التأثير المباشر في العلاقات المصرية البريطانية ، وربما يكون قد أجل كتابه ذلك للجزء الثاني من الكتاب الذى كان يعتزم اصداره ولكنه لم يسر النور فقد توفى دون أن ينتهى من كتابته .

وعلى كل حال فان لهذه الدراسة مغزى مهم وهى انها كانت المحاولة الأولى من جانب غربال للكتابة فى القضايا المعاصرة والتعرض للحركة الوطنية المصرية بعد أن كان القرن التاسع عشر وحده يحتل مكان الصدارة من اهتماماته .

وبعد أن قامت ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ألقى غربال عشرة احاديث باللغة الانجليزية فى البرنامج الاوروبى بالاذاعة المصرية فى عام ١٩٥٤^(١٣) عن « تكوين مصر » وفيها تحدث عن محبوبته ذات الأحرف الثلاثة وهى مصر فأوضح « أن مصر هبة المصريين » لا هبة النيل كما قال هيرودوت لان النيل الذى تقع مصر على ضفتيه قد قطع آلاف الأميال قبل أن يصل الى مصر ومع ذلك فلا توجد غير مصر واحدة على طول مجراه اقامها المصريون بكدهم وعرقهم فهم الذين ملحوا الأرض وسقوها وزرعوها ، وهم الذين أقاموا السدود وال عمران فى شتى أرجائها ، ولولا جهودهم هذه لتحولت مياه النيل الى مستنقعات وأماكن خربة تنتشر منها الملاريا والوبئة ، ومن هنا فان البشر هم الذين صنعوا مصر ، وهؤلاء البشر الذين فعلوا ذلك هم المصريون .

كما أثبت غربال فى أحاديثه أيضا أن مصر مهد الحضارة التى تجمعت حولها كل الأحداث ، وأن موجات الغزاة التى وفدت اليها لم تستطع أن تفت فى عضدها أو تؤثر فى شخصيتها .

ونظرا لأهمية هذه الاحاديث فقد جمعت فى كتاب صدر فى القاهرة باللغة الانجليزية فى عام ١٩٥٥ ثم ترجم الى العربية ونشرته وزارة الثقافة المصرية فى عام ١٩٥٧ ، كما ترجمته « كارمن رويث برافو » الباحثة بقسم

(١٣) اذيعت هذه الاحاديث بعد ذلك من محطات انجليزية وأمريكية متعددة .

الدراسات السامية بكلية الآداب جامعة مدريد الى الإسبانية (١٤) .

أما عن آخر ما كتبه غريبال فكان بعنوان « منهاج مفصل لدراسة العوامل التاريخية في بناء الأمة العربية على ما هي عليه اليوم » وقد بين فيه العوامل التاريخية التي أثرت في بناء الأمة العربية وحددها فيما يلي :

- ١ — الأثر العثماني في الأمة العربية .
- ٢ — الغزو الأوربي وأثره في الأمة العربية .
- ٣ — التطور الداخلي للأمة العربية .

كما شرح ظروف وقوع العالم العربي تحت الحكم العثماني والظروف التي أدت الى الغزو الأوربي للاقطار العربية .

والنتيجة التي خرج بها غريبال من دراسته لهذا الموضوع هي ان عوامل التدافع والتصادم بين الأمة العربية والقوى الفازية لها انجالت عن ظهور النهضة العربية الحديثة .

والى جانب ذلك فان لغريبال جهودا كبيرة في مجال الترجمة من الانجليزية الى العربية وبخاصة في مجال التوجيه والمراجعة والاشراف على ثقل عدد من أمهات الكتب التاريخية اللازمة لتثقيف الجيل العربي وامسادة الدارسين والباحثين (١٥) .

كما أن له العديد من البحوث والمقالات التاريخية المنشورة في المجالات العلمية (١٦) ففي الترجمة العربية لدائرة المعارف الاسلامية (١٧) وفي تقديمه

(١٤) صحيفة معهد الدراسات الاسلامية في مدريد ، المجلد الرابع عشر مدريد ، ١٩٦٧ — ١٩٦٨ ص ٧ — ٤٧ .

(١٥) مذكرة مقدمة من كلية الآداب بجامعة القاهرة بترشيح الأستاذ محمد شفيق غريبال لجائزة الدولة التقديرية ١٩٦٠ .

(١٦) انظر على سبيل المثال مجلة كلية الآداب بالجامعة المصرية ، المجلد الثاني ، العدد الأول ، القاهرة ، مايو ١٩٣٤ دراسة بعنوان « أمير سوري في ايطاليا » ص ٧٦ — ١١١ .

(١٧) انظر مادة (الترك) في الترجمة العربية لدائرة المعارف الاسلامية .

لكتب تلاميذه واصدقائه وفضلا على ذلك فله عدد كبير من الاحاديث الازاعية في موضوعات تاريخية متنوعة منها موضوعات في التاريخ الاسلامى ، وسلسلة اخرى عنوانها « العالم الاسلامى من المحيط الى الخليج لو جمعت في صورة مدونات لكانت ثرائنا ضخما من المؤلفات .

وبعد أن تعرضنا لمؤلفات غربال يتضح لنا مدى قدرته وتمكنه من اصول فن التاريخ ، وادراكه لحقائق تاريخ بلده ، يضاف الى ذلك ان كتاباته تتحلّى بالعمق ويتجلى فيها الموضوعية وعدم القاء الاحكام جزاما وانه وان كان قد تأثر بمدرسة توينبى كثيرا فانه لم يخضع في كثير من الاحيان لفلسفة تاريخية معينة بل كان يأخذ من كل تفسير بقدر طبيعته الدراسة التى يتعرض لها والملابسات التى تحيط بها ، وحينما يتعرض لاحدى القضايا الشائكة التى تتعدد الآراء فيها ، كان معظم الاحيان لا يفرض على القارئ رأيا بعينه بل كان يستشهد بأراء من تعرض لهذا الموضوع لبحث القارئ معه عما هو اقرب من الموضوعية وأحيانا كان يبدى رأيه فى همس هادئ أبعد ما يكون عن التكلف ، واقترب الى اللبسات الفكهة الانسانية المبهضة .

وعلى كل حال لم تكن مؤلفات غربال ومصنفاته العلمية هى وحدها كل ما قدمه ، بل لعل أهمها تلاميذه الذين تشربوا ثمرات فكره ، ونبضات عقله فقد سألته يوما أحد الأجانب عن آخر مؤلفاته وكان فى مجلس العلم من تلاميذه فأشار اليهم قائلا هؤلاء هم كتبى (١٨) .

هذا عن غربال وجهوده المتعددة فى المجالات التاريخية أما عن أنشطته العلمية الأخرى والمناصب المتعددة التى تولاها فقد انتخب شفيق غربال وكيلا لكلية الآداب فعميدا لها فى مايو ١٩٣٩ م

وفى عام ١٩٤٠ نقل غربال من الجامعة الى وزارة المعارف ليبدأ مرحلة جديدة فى خدمة التربية والتعليم ، وهى خدمة وطنية جلية ، وظل هناك

(١٨) المجلة التاريخية المصرية : مقال الدكتور عزت عبد الكريم سابق

حتى ديسمبر ١٩٤٢ يعمل وكيلا مساعدا بالوزارة ثم عاد الى منصبه بالجامعة لإدارة دفة المدرسة التاريخية .

وفي يناير ١٩٤٥ نقل الى وزارة المعارف مستشارا فنيا فوكبلا لها الى جانب تعيينه استاذاً غير متفرغ بكلية الآداب في فبراير ١٩٤٩ واتاح له ذلك الالتقاء بطلابه والاستمرار في مدرسته التاريخية ثم نقل وكيلا لوزارة الشؤون الاجتماعية لفترة أعيد بعدها الى وزارة التربية والتعليم حيث نهض بنصيب كبير في أعمال لجان المناهج بالوزارة (١٩) .

وفي خلال عمل غربال بوزارة التربية كان له دور بارز في حركة تمصير المقررات التاريخية بالمدارس ، كما كانت الكتب الدراسية التي أسهم في وضعها بمثابة النواة التي اهتدى بضوئها الطلاب والكتاب من بعده (٢٠) .

والى جانب ذلك لمس غربال عن قرب مشكلات المجتمع المصري والحياة المصرية بشكل عام .

وقد قدم غربال للدراسات التاريخية في مصر خدمات أخرى جلية تمثلت في انشاء الجمعية المصرية للدراسات التاريخية والنهوض بها (٢١) وانشاء متحف الحضارة المصرية في عام ١٩٤٩ وهو من أعظم مآثرنا العلمية، وكان المشرف على لجانه المختلفة يوجهها بآرائه وتحقيقاته . كما انه مثل الحكومة المصرية في عدة مؤتمرات تاريخية فقد رأس وفد مصر الى الجمعية العمومية لليونسكو في عام ١٩٤٨ ، وانتخب عضواً بالجلس التنفيذي لهذه الهيئة عدة سنوات فظل يمثل الشرق الاوسط لدى هذه المنظمة من عام ١٩٤٦ الى عام ١٩٥١ .

(١٩) ظل غربال بوزارة التربية الى أن أحيل الى التقاعد في عام ١٩٥٤ بعد أن بلغ الستين .

(٢٠) المجلة التاريخية المصرية : المجلد الحادى عشر ، ١٩٦٣ ص ٧ كلمة الاستاذ محمد رفعت .

(٢١) للتفاصيل أنظر كتابنا الجمعية المصرية للدراسات التاريخية دراسة تاريخية لمؤسسة علمية ، القاهرة ، ١٩٨٥ ص ١٤٧ — ١٥٢ .

ويضاف الى ذلك أن هيئة اليونسكو اختارته في عام ١٩٥١ لعضوية لجنة من اثني عشر مؤرخا من أبرز مؤرخي العالم ليكونوا مستشارين لها في شئون تاريخ العالم وهو مشروع المؤلف الضخم الذي تكفلت به اليونسكو .

وبالاضافة الى ذلك كان غريبال عضوا بجميع اللغة العربية في الفترة بين عام ١٩٥٦ وسنة وفاته ، كما كان عضوا بالمجمع العلمي المصري ، والجمعية الجغرافية ، والمجلس الأعلى للآثار ، ومركز تسجيل الآثار المصرية القديمة ، وجمعية الآثار القبطية ، ولجنة التاريخ والآثار بالمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية ، ورئيس الشعبة التاريخية للجنة الثقافية التابعة لجامعة الدول العربية هذا الى جانب انه رأس مجلس مديري الموسوعة العربية الميسرة فيها بين عامي ١٩٥٩ — ١٩٦١ (٢٢) .

وعلى الرغم من مشاغل غريبال في وظائفه التي استنفدت الكثير من وقته ظلت صلته بالدراسات التاريخية مستمرة واستمرت مدرسته التاريخية القائمة على حب البحث والتزام المنهج العلمي قائمة (٢٣) .

وبعد تقاعده تولى منصب مدير معهد الدراسات العربية العالية بالقاهرة التابع لجامعة الدول العربية فبعث فيه الحركة والنشاط ، ووثق علاقاته بالهيئات العلمية والجامعية التي لم تعرف قبل غريبال أن هناك معهدا بهذا الاسم ، كما نهض المعهد في عهده نهضة علمية كبيرة (٢٤) .

يضاف الى ذلك أن غريبال عمل على توجيه طلابه بالمعهد توجيهها علميا فأخذ يشرف على عدد كبير من الرسائل التاريخية في المعهد يتناول تاريخ الأمة العربية الحديث والمعاصر حتى خرجت على يديه موضوعات

(٢٢) مذكرة مقدمة من الجمعية المصرية للدراسات التاريخية بترشيح الأستاذ محمد شفيق غريبال لجائزة الدولة التقديرية عام ١٩٦٠ .

(٢٣) المذكرة المقدمة من الجمعية التاريخية سابقة الذكر .

(٢٤) محمد مهدي علام : مجمع اللغة العربية في ثلاثين عاما ، المجمعيون

القاهرة : ١٩٦٦ ص ١٨٠ .

عن العرب والترك (١٩٠٨ — ١٩١٦) و « تاريخ الوحدة العربية حتى عام ١٩٤٥ » و « المسألة المراكشية ١٩٠٢ — ١٩١٢ » و « اليمن في عهد الامام يحيى ١٩١١ — ١٩٤٨ » وغيرها .

وظل غربال يشغل منصبه في هذا المعهد بجدارة وهمة حتى يوم وفاته في ١٩ أكتوبر ١٩٦١ بعد مرض قصير لم يمهله الا اياما فذهب الى جوار ربه فبكاه اصداؤه وتلاميذه ومقدرو علمه وعارفو فضله (٢٥) .

ومما سبق يتضح ان شفيق غربال كان مؤرخا وعالما من الطراز الاول يستقرى الحضارات كما يستقرى الوثائق والنصوص ، وانه مصرى اصيل عمل في تواضع ورحابة افق على النهوض بالدراسات التاريخية فارسى قواعدها ، ووجهها التوجيه العلمى السليم ، كما يتضح ان جهوده لم تقتصر على انعاش الدراسات التاريخية في مصر بل تعداها الى المشاركة في الحركة الفكرية بكل جوانبها وابعادها ، ومما يحد له انه لم يترك السراى الملكية رغم اعجابه بشخصية محمد على ، فكان بحق المثل الاعلى للأستاذ الجامعى الذى يحق لمصر ان تفتخر به .

الدكتور حسن عثمان

١٩٧٣ — ١٩٠٨

يمثل الدكتور حسن عثمان نمطا فريدا من المؤرخين المصريين فقد كان فنانا بالدرجة التى كان بها مؤرخا واديبا ، عشق عصر النهضة الاوربية ، وقد ادى عشقه وتعلقه بهذا العصر الى ايجاد مدرسة مصرية متميزة في الأدب الانسانى والفنى والاجتماعى ، مدرسة تقوم على المنهج العلمى فى التاريخ وتدعو الى الجمع بين الفن والأدب والتاريخ وادخال دراسة الثقافة الفنية مثل فنون الرسم والتصوير والنحت والعمارة وفنون الموسيقى والمسرح ضمن مناهج الدراسة فى كليات الآداب بهدف خدمة الدراسات الانسانية والتى من بينها التاريخ (٢٦) .

(25) Abdel Rahman Zaki , Mohammed shafik Ghorbal 1894

— 1961, Cairo, 1962 .

(٢٦) انظر كتابه منهج البحث التاريخى ، القاهرة ، دار المعارف ، الطبعة الرابعة ص ٤٤ .

والى جانب ذلك كان حسن عثمان من الرعيل الأول الذى أبرز أهمية ترجمة المؤلفات التاريخية من الإيطالية الى العربية وجعلها من اهتمامات الباحثين .

تلقى حسن عثمان دراسته الجامعية بكلية الآداب بالجامعة المصرية ، ونهل من ينابيع العلم على يد الرعيل الأول من علماء مصر ، وقد عرّف خلال دراسته باجتهاده وإخلاصه ونشاطه الدائب فى طلب العلم ، والى جانب ذلك كان يتصف بعدة صفات كريمة لعل أبرزها عزة النفس وإثقة الطبع . ولم يكن حصوله على الليسانس فى التاريخ بدرجة الامتياز فى عام ١٩٢٢ الا ثمرة لكفاحه من أجل الوصول الى التفوق ، وبرغم ذلك عين فى السنة نفسها مدرسا بمدرسة امبابة الابتدائية بالجيزة (٢٧) ثم حصل حسن عثمان على درجة الماجستير باشراف شفيق غربال فى عام ١٩٣٤ فى موضوع كان يبدو غريبا فى ذلك الوقت وعنوانه « فخر الدين بن معن الثانى أمير لبنان » وكان بذلك أول من نال درجة الماجستير فى التاريخ الحديث بالجامعة المصرية وبعدها ارسل فى بعثة الى ايطاليا فى عام ١٩٣٥ م للحصول على الدكتوراه فى تاريخ الشرق الأدنى من جامعة روما وكانت بعثته هذه موفقة غاية التوفيق ، وخاصة وأن البعثات فى ذلك الوقت كانت مقصورة على انجلترا وفرنسا ، وبعد أن درس اللغة الإيطالية استهوته مظاهر النهضة الإيطالية وآدابها وفنونها فى القرنين الخامس عشر والسادس عشر (٢٨) فدفعه ميله الى الأدب والفن الى دراسة دانتي أحد أعلام عصر النهضة الإيطالية ، ولكن استأذنه لم يوافقه على ذلك فى أول الأمر لسببين :

١ — سوء تقدير الجامعة المصرية للدكتوراه الإيطالية .

٢ — أن تاريخ الشرق الأدنى الحديث هو مجال بعثته .

ولكن هذه المعارضة لم تستمر طويلا فبعد أن أرسل حسن عثمان

(٢٧) المجلة التاريخية المصرية : المجلد الحادى والعشرون ١٩٧٤ من

خطاب تأبين الدكتور حسن عثمان الذى القاه الدكتور محمد السروجى .

(٢٨) من حديث الدكتور عزت عبد الكريم اثناء حفل التأبين .

إلى أستاذه غريال ترجمته للحجيم ، بدأ يتفهم مدى شغف تلميذه بدراسة تراث « دانتي » ومبلغ معاناته في اتمام هذا العمل فكتب اليه في السادس من نوفمبر ١٩٣٩ يقول « كنت سعيدا من أجلك — فقد لقيت على ما يظهر الكثير من أجل دانتي ، وان اتمام العمل الذي يصحب الانسان عمرا نوع من فك الرقبة — فهنيئا لك نعمة الحرية . وبقي — بعد أن تتم ما تبقى من دانتي أن تدخل (في اعتبارك) ما اكتسبت من نظرتك للانسان . وعلى كل حال فلكل يوم شأنه ، ولنجعل اليوم يوم ارتياح لسان تم والفرد شئونه » (٢٩) .

وحصل حسن عثمان على الدكتوراه من جامعة روما في ديسمبر سنة ١٩٣٨ ، وعين في أعقابها مدرسا بكلية الآداب بالجامعة المصرية وبقي كذلك حتى نقل الى كلية الآداب جامعة الاسكندرية في عام ١٩٤٢ ليشغل وظيفة مدرس في التاريخ الحديث . وفي مارس ١٩٤٧ رقى الى وظيفة أستاذ مساعد وبقي بها الى أول ديسمبر ١٩٥٠ ، ثم نقل الى معهد الدراسات السودانية بجامعة القاهرة أستاذا لكرسي تاريخ السودان وآثاره .

وفي عام ١٩٦٤ تولى منصب رئيس المعهد ، وبقي الى أن أحيل الى المعاش في عام ١٩٦٨ ، وظل يشغل وظيفة استاذ تاريخ السودان حتى وفاته في ٢٩ أكتوبر ١٩٧٣ .

وقد أشرف الدكتور حسن عثمان على عدد من الرسائل وبخاصة في أثناء عمله بمعهد الدراسات الافريقية نذكر منها الرسالة التي أعدها جميل أسحق عبيد للدكتوراه وعنوانها مديرية خط الاستواء في الفترة من ١٨٦٣ — ١٨٩٢ .

والدكتور حسن عثمان العديد من المؤلفات المتنوعة باللغات العربية والاطالية والانجليزية وان كان معظمها يدور حول الشاعر الايطالي دانتي وتلك الأبحاث هي :

١ — البحر الأحمر كطريق تجارى في عهد البيزنطيين والعرب والماليك .

٢ — دير الأنبا انطونيوس .

وقد نشر البعثان في كتاب بعنوان « رحلة كلية الآداب الى ساحل البحر الأحمر وبعض مناطق الآثار بالوجه القبلى برياسة الاستاذ شفيق غربال » .

٣ — كيف يكتب التاريخ ، سبع مقالات بمجلة الرسالة (٣٠) .

٤ — البحر مناجاة أدبية (٣١) .

٥ — فخر الدين الثانى أمير لبنان وبلاد تسكانا (١٦٠٥ — ١٦٣٥)
عرض ونقد لكتاب الأب بولس قرالى مع تقديم وثائق جديدة لسم تنشر عنه (٣٢) .

٦ — سافونا رولا (أربع مقالات) (٣٣) .

٧ — سوريا ولبنان فى التاريخ المعاصر — عرض ونقد لكتاب البرت حورانى (٣٤) .

هذا عن أبحاثه ودراساته المتنوعة . أما أبحاثه عن دانتي فهى كثيرة نذكر منها :

١ — دانتي البجيرى : حياته وشخصيته (٣٥) .

(٣٠) أنظر اعداد مجلة الرسالة اغسطس — ديسمبر ١٩٤١ .

(٣١) أنظر مجلة الرسالة عدد ١٧ نوفمبر ١٩٤١ .

(٣٢) أنظر مجلة كلية الآداب جامعة مؤاد الأول ، المجلد السادس . ١٩٤٢ .

(٣٣) أنظر مجلة الثقافة الاعداد ٢٤٥ ، ٢٤٩ ، ٢٥٢ ، ٢٥٥ سبتمبر — نوفمبر ١٩٤٣ .

(٣٤) المجلة التاريخية المصرية : المجلد الاول اكتوبر ١٩٤٨ .

(٣٥) أنظر الكاتب المصرى : العدد ٣١ المجلد الثامن ابريل ١٩٤٨ .

٢ — فرنسيسكا داريميني عند دانتى الجيرى — ترجمة وتحليل وشروح وتعليقات مع تقديم نص من « الجحيم » (٣٦) .

٣ — غارينا دلى أوبرتى وكاتلا لكانتى دى كافالكانتى فى جحيم دانتى — ترجمة وتحليل وشروح وتعليقات مع تقديم نص من الجحيم (٣٧) .

٤ — أوجو لينودى لاجرار دسكا فى جحيم دانتى — ترجمة وتحليل وشروح وتعليقات مع تقديم نص من الجحيم (٣٨) .

٥ — الانشودة الخامسة من مطهر دانتى ، ترجمة وتحليل وشروح وتعليقات مع تقديم نص من المطهر (٣٩) .

والى جانب ذلك كان لقيام حسن عثمان بالتدريس فى معهد البحوث والدراسات الافريقية اثره فى دراسته للكوميديا الالهية اذ اخذ يهتم بابرار ما ذكره دانتى عن افريقية ، ونتيجة لذلك كتب ثلاثة بحوث فى هذا الموضوع . اولها « افريقية فى جحيم دانتى » وقد تام فيه بترجمة بعض النصوص الواردة فى هذا الموضوع وقدم لها بالعديد من التعليقات والشروح (٤٠) .

وثانيها كان بعنوان « افريقية فى مطهر دانتى » وقدم فيه نصوصا من المطهر للاستشهاد بها مع تحليلها والتعليقات عليها (٤١) .

(٣٦) أنظر مجلة كلية الآداب جامعة فؤاد الأول ج ١ المجلد ١١ مايو ١٩٤٩ .

(٣٧) أنظر مجلة كلية الآداب جامعة فؤاد الأول ج ٢ المجلد ١١ ديسمبر ١٩٤٩ .

(٣٨) أنظر مجلة الآداب جامعة فؤاد الأول ج ٢ المجلد ١٢ ديسمبر ١٩٥٠ .

(٣٩) أنظر مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة ج ١ المجلد الثامن عشر مايو ١٩٥٨ .

(٤٠) أنظر مجلة كلية الآداب جامعة الاسكندرية ، العدد العاشر ١٩٥٦ .

(٤١) أنظر مجلة كلية الآداب جامعة الاسكندرية ، العدد الرابع عشر ١٩٦٠ .

أما الثالث فكان بعنوان « افريقية في فردوس دانتي » وهو عبارة عن ترجمة لبعض النصوص من الفردوس وتحليلها والتعليق عليها .

وكتب الدكتور حسن عثمان بحثا بالانجليزية بعنوان :

Dante in Arabic, In the Seventy. third Annual Report of the Dante Society of America Widener Library, Harvard university, Combridge Massachuseets U.S.A., 1955 .

كما كتب مقدمة بالايطالية والعربية لكتاب الاستاذ « طه فوزى » عن دانتي اليجيرى الذى صدر فى القاهرة .

أما الكتب التى ألفها أو ترجمها فهى :

١ — رسالته للمجستير المعنونة « فخر الدين بن معن الثانى أمير لبنان » نوقشت بالجامعة المصرية فى عام ١٩٣٤ ولم تنشر حتى الآن .

2 — Fa Khr-ud-Din Il Emero del Libanoe le Sue Relazioni- con l'occidente, Con Documenti Inediti, p. 1 Roma, 1938.

وهى رسالته للدكتوراه التى حصل عليها من جامعة روما فى عام ١٩٣٨ ولم تنشر الى الآن (٤٢) .

٣ — تاريخ مصر فى العصر العثمانى (١٥١٧ — ١٧٩٨) وقد نشره بالاشتراك مع الأستاذ محمد محمد تونيق فى كتاب « المجل فى التساريخ المصرى » (٤٣) الذى أصدره بعض أعضاء هيئة التدريس بكلية الآداب بجامعة فؤاد الاول فى عام ١٩٤٢ .

٤ — منهج البحث التاريخى وقد صدرت منه طبعات عديدة كان أولها فى عام ١٩٤٣ . وهذا الكتاب من المؤلفات ذات الاهمية القصوى لى الباحثين ، وخاصة أن صاحبه اعتمد فيه على خلاصة ما ورد فى العديد من

(٤٢) من خطاب التابئين للدكتور السروجى ص ٦ .

(٤٣) اعتمد المؤلفان فى هذا الكتاب على العديد من الوثائق التركية التى تتعلق بتاريخ الادارة العثمانية فى مصر .

المؤلفات الأوروبية والأمريكية والعربية الخاصة بمناهج البحث كما أنه استرشد فيه ببعض ما كتبه علماء المسلمين في الرواية والحديث .

٥ « سافونا رولا : الراهب الثائر » وقد صدر عن دار الكاتب المصري بالقاهرة في عام ١٩٤٧ وحاز به صاحبه على جائزة الدولة في عام ١٩٤٩ م .

٦ — على أن أهم عمل قام به حسن عثمان هو ترجمته للكوميديا الإلهية والتي قام بنشرها في الفترة من ١٩٥٩ — ١٩٧٢ وقد صدر منها .

(أ) النشيد الأول « الجحيم » في عام ١٩٥٩ .

(ب) النشيد الثاني « المطهر » في عام ١٩٦٤ .

(ج) النشيد الثالث « الفردوس » في عام ١٩٧٢ .

وقد زودت هذه الترجمات بمقدمة وتحليل وشروح وتعليقات .

وطريقته في ترجمة الكوميديا هي أن يجمع في النص المترجم بين روح البيان العربي والمحافظة على المعنى .

ونتيجة للجهد المضني التي بذلها الدكتور حسن عثمان وبخاصة في ترجمة أمهات الأدب الإيطالي — في مجال الدراسات الدانتية — انى العربية حصل على العديد من الجوائز منها .

١ — ميدالية « أوسكار داماليا » الذهبية الدولية في عام ١٩٦٥ بمناسبة الذكرى المئوية السابعة لميلاد دانتي (بالاشتراك مع اساتذة آخرين) .

٢ — جائزة الدولة التشجيعية في فن الترجمة مع وسام المعارف من الدرجة الأولى .

٣ — جائزة اللجنة الوطنية الإيطالية الدانتية من فلورنسا في ٣٠ أبريل ١٩٦٦ .

٤ — جائزة وزارة الخارجية الإيطالية في روما في ٢٨ يوليو ١٩٦٦ .

٥ — الميدالية الذهبية من المجمع العلمي للعلماء الدانتين في روما
في ٢٧ نوفمبر ١٩٦٦ (بالاشتراك مع أساتذة آخرين) .

٦ — الميدالية الذهبية من « جمعية دانتي البجيرى » في بالرمو في
١٥ ديسمبر ١٩٦٦ .

٧ — الدكتوراه الفخرية من جامعة بالرمو بصقلية في ٨ مايو ١٩٧٣ .

والى جانب ذلك اشترك الدكتور حسن عثمان في العديد من المؤتمرات
الدولية منها .

١ — المؤتمر الدولي الدانتى في فلورنسا في ابريل ١٩٦٥ .

٢ — المؤتمر الدولي الدانتى في افينون في اكتوبر ١٩٦٥ .

يضاف الى ذلك انه كان عضوا في العديد من الجمعيات العلمية نذكر
منها عضويته بالجمعية المصرية للدراسات التاريخية وجمعية دانتي بجامعة
هارفارد بالولايات المتحدة ، وعضويته الفخرية في المجمع العلمي للعلماء
الدانتين في روما (٤٤) .

وكانت آمال الدكتور حسن عثمان العلمية كبارا ، فقد كان ينوى قبل
وفاته ان يفرغ للقيام بدراسة عن العلاقة بين الموسيقى والأدب في عصر
دانتي ، ومن المشروعات التى راودته ، وشغلت تفكيره أيضا ترجمة أعمال
بترارك ، ولكن المنية أعجته عن أن يحقق شيئا من ذلك .

وتتضى شبيئة الله ان تنعاه مصر في التاسع والعشرين من أكتوبر
١٩٧٣ في خلال انتصاراتها في معارك اكتوبر ، وفي يوم وداعها لعبيد الأدب
العربى الدكتور طه حسين فيضيع نبأ وفاته في زحمة الأحداث (٤٥) .

(٤٤) من خطاب النائبين الدكتور السروجى ص ١٠ .

(٤٥) نفسه .

الدكتور أحمد عزت عبد الكريم

١٩٠٩ — ١٩٨٠ م

ولد الدكتور أحمد عزت عبد الكريم في شبين الكوم في عام ١٩٠٩ م. وأتم تعليمه الابتدائي بمدرسة قنا الابتدائية سنة ١٩٢٢ والثانوي بمدرسة الزقازيق سنة ١٩٢٦ وقد برز تنوقه في الدراسة منذ تخرجه في كلية الآداب بالجامعة المصرية في عام ١٩٣٠ ثم تابع دراساته العليا فحصل على درجة الماجستير في عام ١٩٣٦ بإشراف الأستاذ محمد شفيق غربال وكان موضوع رسالته هو « تاريخ التعليم في عصر محمد علي » ثم كان أول من ينال الدكتوراه في التاريخ من خريجي الجامعة وكان ذلك عام ١٩٤١ وكان موضوع رسالته « تاريخ التعليم منذ أواخر عصر محمد علي إلى أوائل حكم توفيق » وكانت بإشراف غربال أيضا .

وقد عمل عزت عبد الكريم بالتدريس في جامعة مؤاد الأول منذ عام ١٩٣٨ ثم نقل إلى جامعة عين شمس منذ انشائها في عام ١٩٥٠ حتى توفاه الله في عام ١٩٨٠ .

وقد اجتمعت في الدكتور عزت عبد الكريم كل سمات المؤرخ من حيث تحقق الضمير العلمي ، وعدم التحيز ، والتسامح ، وإدراك المواقف ، والربط بين الأحداث ، يضاف إلى ذلك نبل خلقه ، وذكاءه المتوقد . وكل هذه الصفات جعلت منه ينبوعا دافعا من العلم والخلق والإنسانية ، وسفرا شع ضياؤه على المدرسة التاريخية الحديثة .

ونتيجة لذلك دعى للتدريس والقاء المحاضرات ومناقشة الرسائل الجامعية في كثير من الجامعات العربية والأجنبية في دمشق ، وبنغازي ، والخرطوم ، وبيروت ، والكويت ، ووهان فأكسبه هذا سمعة علمية مرموقة في مختلف المؤسسات العلمية العربية ، وعمل استاذا زائرا في جامعة مرجينيا بالولايات المتحدة الأمريكية في عام ١٩٥٢ وأتيح له حضور عدد من المؤتمرات العلمية في التاريخ : مؤتمر التاريخ والآثار في المغرب عام ١٩٥٨ ومؤتمر التاريخ الآسيوي في الهند عام ١٩٦١ ومؤتمر التاريخ

الدولى فى بغداد ١٩٧٣^(٤٦) ومؤتمر الحضارة العربية بالجامعة اللبنانية
ببيروت عام ١٩٧٥^(٤٧) .

هذا بالاضافة الى قيامه بالتدريس بمعهد البحوث والدراسات
العربية منذ انشائه . وفى كل هذه المجالات تميز الدكتور أحمد عزت عبد
الكريم بسمات الأستاذ العالم من اهتمام بمحاضراته وبحوثه ، وتوثيق
علاقته الأبوية بطلابه الذين ترك فيهم آثارا باقية كان يغذيها استمرار
صلاته بهم بعد التخرج من الناحية العلمية والناحية الاجتماعية .

ولعل مما يضاف الى رصيده العلمى انشاءه لسمنار التاريخ الحديث
بجامعة عين شمس فى عام ١٩٥٥ للإشراف المتواصل على أبحاث تلاميذه
بالدراسات العليا وتدريبهم على أصول البحث العلمى وتوجيههم الى المادة
التاريخية الأصلية ، وبقي مواظبا فى شتى الظروف على عقد هذه الجلسة
العلمية مساء كل يوم خميس حتى صار السمنار الذى يحمل اسمه سمة
مميزة وبارزة فى مجال العلاقات الجامعية والعمل العلمى وصار له فى مختلف
الجامعات المصرية والعربية تلاميذه ومريدون يشغل معظمهم منصب
الاستاذية فى هذه الجامعات .

وقد وجه الدكتور عزت عبد الكريم تلاميذه فى الدراسات العليا
لدراسة تاريخ العرب الحديث والمعاصر ومن الرسائل التى خرجت على
يديه فى هذا المجال نذكر رسالتى الدكتور عبد العزيز نوار للمجستير
والدكتوراه « داود باشا والى بغداد ١٨١٦ — ١٨٣١ » و « تاريخ العراق
الحديث من نهاية حكم داود باشا الى نهاية حكم مدحت باشا ١٨٣١ —
١٨٧٢ » ورسالتى الدكتور جمال زكريا قاسم للمجستير والدكتوراه « دولة
البوسعيد فى عمان وزنجبار منذ تأسيسها حتى انقسامها ١٧٤١ — ١٦٨١ »
ورسالتى الدكتور السيد مصطفى سالم للمجستير والدكتوراه « اليمن فى عهد

(٤٦) من مذكرة قدمتها الجمعية المصرية للدراسات التاريخية الى
الجلس الأعلى للفنون والآداب والعلوم الاجتماعية لترشيح الدكتور أحمد
عزت عبد الكريم لجائزة الدولة التقديرية عام ٧٢ — ١٩٧٣ .
(٤٧) سمنار الدراسات العليا للتاريخ الحديث بجامعة عين شمس
بمناسبة مرور عشرين عاما على تأسيسه ص ٥ .

الامام يحيى » و « انفتح العثماني الأول لليمن ١٥٣٨ — ١٦٣٥ » ورسالتى الدكتور يونان لبيب رزق للماجستير والدكتوراه « العلاقات الخارجية للدولة المهدية فى عهد الخليفة عبد الله التعايشى » والسودان فى عهد الحكم الثنائى الأول ١٨٩٩ — ١٩٢٤ .

ومما يجدر بالذكر أيضا أن الدكتور عزت عبد الكريم أسهم أسهامات جادة منذ سنوات طويلة فى اعداد المناهج التاريخية للدارس الثانوية كما شارك فى وضع بعض الكتب المدرسية وأهمها كتابه فى تاريخ العالم العربى الحديث والمعاصر .

وفى مجال التأليف والترجمة نجد للدكتور عزت عبد الكريم مؤلفات تقترن باسمه منها « تاريخ التعليم فى عصر محمد على » و « تاريخ التعليم منذ أواخر عصر محمد على الى أوائل حكم توفيق » كما شارك فى تأليف كتاب تاريخ أوروبا الاقتصادية والمجلد فى تاريخ مصر العام .

ولعل آخر كتبه كان كتابه « دراسات فى تاريخ العرب الحديث » وفيما يلى تعرض لهذه المؤلفات .

١ — تاريخ التعليم فى عصر محمد على .

بحث علمى مدعم بالوثائق فى كل فصل من فصوله ويتميز فيه صاحبه بحسن التعامل والتدليل والقدرة على الموازنة والمقارنة بين المصادر ، ومحاولة كشف ما فيها من غموض .

تاريخ أوروبا الاقتصادية .

يستشف فيه المزج الدقيق بين التطور الاقتصادى فى أوروبا الحديثة وتاريخها السياسى والاجتماعى .

المجلد فى تاريخ مصر العام .

والكتاب به فصل للدكتور عزت عبد الكريم عن مصر من الحملة الفرنسية حتى عام ١٨٧٩ وهو عبارة عن دراسة هامة يرجع اليها الدارسون لتطور مصر الحديثة .

دراسات في تاريخ العرب الحديث .

ويضم هذا الكتاب ست دراسات في تاريخ العرب الحديث سبق نشر أربع منها أما الدراستان الخامسة والسادسة فلم يسبق نشرها ، وهذه الدراسات الست على الرغم من تنوعها من حيث الموضوع والزمان والمكان فانها ترتبط باطار واحد هو اطار التاريخ العربى الحديث منذ بدايته في فترة الفتوح العثمانية حتى حرب يونيو ١٩٦٧ وأثارها ، فإذا كان عنوان الفصل الأول هو « العلاقات بين الشرق العربى وأوربا بين القرنين السادس عشر والتاسع عشر » فإن عنوان الفصل الأخير من هذا الكتاب « المعالم الرئيسية في تاريخ القضية الفلسطينية » وبين هذا وذاك تتناول فصول الكتاب دراسات متنوعة من تاريخ العرب الحديث في المشرق والمغرب وعن المشرق تناول الفصل الثانى من الكتاب « التقسيم الإدارى لسورية في العهد العثمانى » وتناول الفصل الثالث « دمشق في منتصف القرن الثامن عشر » ودرس الفصل الرابع « نهضة مصر في القرن التاسع عشر » أما عن المغرب فقد تناول الكتاب في فصله الخامس « المسألة الجزائرية في السياسة الدولية منذ تأسيس النيابة الى حملة ١٨٣٠ » .

وفي مجال التحقيق العلمى أصدر الدكتور عزت عبد الكريم تحقيقا لحوليات الكاتب الدمشقى أحمد البديرى الحلاق الذى صور الحياة الاجتماعية في دمشق في القرن الثامن عشر ، وقد صدر تحقيقه لهذه المخطوطة بمقدمة طويلة عن احوال سورية في القرن الثامن عشر .

وفي هذا المجال ايضا نشر في حوليات كلية الآداب جامعة عين شمس عن « التنظيم الإدارى بسورية في العصر العثمانى » هذا الى جانب بحث أخرى نشرت في مجلات وحوليات علمية متعددة في « أصول المسألة الجزائرية » و « التغيير الاجتماعى لمجتمع القاهرة في القرن التاسع عشر » و « أزمة الفكر العربى في مطلع العصر الحديث » و « الجبرتى مؤرخ مصرى على مفترق الطرق » .

وفي مجال الترجمة أسهم الدكتور عزت عبد الكريم في ترجمة كتاب « البندقية جمهورية أرستقراطية » لشارل ديل كما راجع عددا من

الفرجات المهمة التي اثرت المكتبة العربية في موضوعات لها اهميتها ، ساعده في ذلك تبحره العلمى ، والملمه الواسع بأساليب اللغتين العربيه والانجليزية وقد عرف عنه الدقة والحرص في هذا المجال (٤٨) .

والى جانب ذلك اصدر الدكتور عزت عبد الكريم سلسلة « المكتبة التاريخية » ذلك المشروع العلمى الذى قام على أساس تكوين سلسلة من الدراسات التاريخية بأقلام المتخصصين فى شتى فروع المعرفة التاريخية ليستفيد منها طلاب الجامعات وكل صاحب حظ من ثقافة ، وقد أخذ هذا المشروع طريقه الى الظهور فى يونيو ١٩٥٨ ، وصدر الدكتور عزت عبد الكريم كل كتاب من هذه المجموعة بمقدمة علمية شاملة (٤٩) .

ونتيجة لجهود الدكتور عزت عبد الكريم المثمرة ودوره فى خدمة الدراسات التاريخية تم اختياره رئيسا للجمعية التاريخية فى الفترة من ١٩٦٥ — ١٩٧٦ وقد بذل فيها من جهده ووقته وخاصة فى مجال تنظيم الندوات والمواسم الثقافية ما حقق للجمعية أفضل مواسم ثقافية عرفت لها فى تاريخها . ويرجع نجاح هذه الندوات الى الجهود التى كان يبذلها فى الترتيب والتنظيم والادارة الحكيمة ، والى خبرته وولعه الشديد بأن تاتى ثمار هذه الندوات يانعة (٥٠) فقد حرص على اقامة ندوة — ندوة لمناقشة حياة مؤرخ من اعلام مؤرخى مصر وسيرته ومنهجه وأعماله العلمية على نحو علمى يلىق بمكانته وذلك بهدف احياء ذكرى اعلام المؤرخين . وحتى يتوفر لثل هذه الندوات الامكانات المالية والاعلامية وغيرها شارك المجلس الأعلى للفنون والآداب والعلوم الاجتماعية فى هذه الندوات . وقد بدأت هذه الندوات بندوة عن المؤرخ « تقى الدين الميرزى » فى الرابع من مايو ١٩٦٦ وتلتها ندوة عن المؤرخ « القلقشندى » ثم ندوة عن المؤرخ « عبد الرحمن بن عبد الحكيم » وندوة عن « أبى المحاسن بن تغرى بردى » وتبعتها الندوة العلمية عن « ابن اياس » ثم احتفلت الجمعية فى عام

(٤٨) مذكرة الجمعية التاريخية بشأن ترشيح الدكتور أحمد عزت عبد الكريم لجائزة الدولة التقديرية .

(٤٩) انظر العدد الأول من السلسلة .

(٥٠) د. عبد المنعم الجيمى : الجمعية المصرية للدراسات التاريخية

دراسة تاريخية لمؤسسة علمية ص ١٥٧ .

١٩٧٤ بمرور مائة وخمسين عاما على وفاة المؤرخ « عبد الرحمن الجبرتي » .

ويضاف الى ذلك أن الدكتور عزت عبد الكريم دفع الجمعية الى المشاركة في العديد من المناسبات العلمية والقومية فقد اقامت الجمعية « ندوة مصطفى كامل » بمناسبة مرور مئة عام على ميلاد الزعيم الوطنى مصطفى كامل .

ولم تقتصر ندوات عزت عبد الكريم على الجمعية التاريخية بل اقام في سنار التاريخ الحديث بجامعة عين شمس الذى يعتبر لجنة من لباته العديد من المؤتمرات السنوية فنظم السمنار ندوة « وثائق تاريخ العرب الحديث » وندوة « البحر الأحمر في التاريخ » وندوة « الثورة العربية بمناسبة مرور مائة عام على قيامها » .

هذا عن الدكتور عزت عبد الكريم الباحث والمعلم والمؤرخ وهناك مجال آخر برز فيه وهو التطبيق العلمى لانكاره ولاستاذيته في مجال أوسع حين تولى عمادة كلية الآداب بجامعة عين شمس ثلاث سنوات ١٩٦١ — ١٩٦٤ شهدت فيها الكلية آثار جهوده وعلاقاته بطلبته واعضاء هيئة التدريس فقد كان قدوة في الانكباب على العمل في دقة واحاطة واسعة . وقد أهله ذلك لتولى وكالة جامعة عين شمس ثم عين مديرا للجامعة نفسها في عام ١٩٦٨ حتى احيل الى المعاش في العام التالى .

ولم تقتصر جهوده في خدمة التعليم الجامعى على جامعة عين شمس وانما امتدت الى التعليم الجامعى بصفة عامة فاختر رئيسا للجنة قطاع الدراسة والعلوم الانسانية بالمجلس الاعلى للجامعات وهى اللجنة التى اشرفت على تطوير الدراسة بكليات الآداب ، ودار العلوم في سنتى ٦٨ — ١٩٦٩ كما كان ايضا مقرا للجنة الدائمة لفحص انتاج اساتذة التاريخ في الجامعات المصرية .

وقد شارك الدكتور أحمد عزت عبد الكريم في نشاط « المجلس الاعلى لرعاية الآداب والفنون والعلوم الاجتماعية » عدة سنوات فكان عضوا به ، كما عمل عضوا بلجنة التاريخ والآثار بالمجلس .

وهكذا كان للدكتور عزت عبد الكريم الأثر الكبير في تكوين جيل كبير من دارسي التاريخ الحديث وأساتذته في شتى البلدان العربية طوال مدة تربو على الأربعين عاما قضاهما في حراسة وصبر كبيرين ، فكان بذلك من الأفاضال الذين شقوا طريقهم بقلهم وفكرهم ، فترك الدنيا بعد أن خلف وراءه تراثا هاما للأجيال القادمة واستطاع بذلك أن يسيطر اسمه في جبين تاريخنا الحديث .

الدكتور محمد أنيس

١٩٢١ — ١٩٨٦ م

المؤرخون نوعان نوع تصنعه الظروف ، ونوع يستطيع أن يصنع الظروف . النوع الأول يقتصر دوره داخل حدود الحرم الجامعي ، ولا يزيد فكره على مجرد معلومات موضوعة بين دفتي كتبه أما النوع الثاني فهو موهوب لديه ملكة النقد والفحص والاستقراء والأفق الواسع وكثيرا ما يسبق فكره عصره . والدكتور محمد أنيس من النوع الثاني فأنه كان مؤرخا يملك القدرة على إدراك المواقف ، ويحترم فكره ، ويصون نفسه عن الامتهان ، لا يداهن ولا يرائي ويتحلى بسلامة الفكر ، وصواب الحكم ، وعمق الإيمان بقضايا أمته ، وكان على استعداد لمواجهة أعتى التحديات والمخاطر في سبيل الدفاع عن حق يعتقد أو فكرة يؤمن بها ، أو من أجل الدفاع عن مظلوم سلب حقه ، أو اعتدى على فكرة دون يأس أو كمال أو استسلام يضاف إلى ذلك أنه قاد مدرسة التاريخ الاجتماعي في مصر لا يقله وفكره فحسب وإنما بأعصابه وشرابينه حتى أخذت هذه المدرسة تدلى بدلوها ضمن المدرسة التاريخية المصرية وقد ولد الدكتور محمد أنيس في ٢١ / ٨ / ١٩٢١ وحصل على ليسانس التاريخ في عام ١٩٤٣ وكان الأول على دفعته فأوفدته الجامعة في بعثة دراسية لدراسة التاريخ الحديث في لندن فحصل على الدكتوراه في عام ١٩٥٠ وكان موضوع رسالته يدور حول الصراع على البحر الأحمر كطريق للمواصلات في القرن الثامن عشر وعنوانها :

وقد اعتمد في دراسته هذه على الارشيف الانجليزى فى العصر العثمانى .

وبعد أن أتم الدكتور أنيس رسالته عاد الى مصر ليعمل مدرسه لتاريخ الحديث بجامعة القاهرة . وفى خلال ذلك أثبتت عقليته الواعية المتفتحة وحسه التاريخى المرفه القدرة على التمييز بين ما يدور حوله ، كما استطاع بدقة ملاحظته وحرية فكرة أن يتخطى الحواجز ، ويعالج الكثير من الأمور التى كانت تعد محظورة فى ذلك الوقت . ففى الخمسينات من هذا القرن حينما كانت مصر تنتقل من العصر الملكى الى العصر الجمهورى ، وكان كل صاحب رأى يعد خطرا فى نظر السلطة كانت محاضرات الدكتور أنيس الجريئة بالجامعة تطرح القضايا الشائكة التى كانت نجول بخواطر الطلاب حول الماضى والحاضر والمستقبل والعلاقة بين الوطنية والحرية والسيادة والاستقلال ، وعلاقة مصر بالعالم العربى بصفتها مركز الثقل فى المنطقة العربية ، وكان الدكتور أنيس يطرح الاسئلة التى تبحث عن اجابات ليشحذ همم طلابه ، ويستثير نفوسهم ، ويدفعهم الى التفكير من أجل البحث معه عن الحقيقة ، ثم يقوم بمناقشة ما طرحه من أسئلة من جميع نواحيها فى لغة سهلة يسيرة تتميز بعفوية الحركات ، وحسن الاستطراد وبساطة الطرفة والجمع بين القدرة على تمثيل الحقائق التاريخية والأسلوب الذى يفضى الى تفهم هذه الحقائق . وبعد أن يضع الدكتور أنيس النقاط على الحروف يخرج طلابه من قاعات الدرس وهم يشعرون أنهم أصبحوا أقدر على فهم وتفسير الأحداث التى تلاحق وطنهم لذلك أحبه طلابه وقدروا فيه فكره ومقدرته ودقة ملاحظته وصفاء ذهنه واتساع خياله وإدراكه للمواقف هذا فضلا عن روحه المرحية .

وحين تعرض الدكتور أنيس لمضايقات السلطة التى كانت تلاحقه ، وتبهد لفصله من الجامعة فى عام ١٩٥٤ اضرب تلاميذه فى قسم التاريخ عن الدراسة دفاعا عن استاذهم واحتجاجا على ما يحاك ضده ، ونتيجة للاحاح طلابه عاد الى قاعة الدرس ليلقى محاضراته ، وليرفع عاليا راية القيم الجامعية الحقبة (٥١) .

(٥١) الأخبار فى ٧/٩/١٩٨٦ متال للاستاذ نبيل زكى تحت عنوان « لله وللتاريخ » .

وحين وقع العدوان الثلاثى على مصر فى عام ١٩٥٦ وكانت الجامعة لاتزال مفتوحة ، والطلاب ينتظرون محاضرة استاذهم ، دخل الدكتور انيس قاعة المحاضرة ولم يقل غير كلمات محدودة « ليس الآن وقت الكلام ، وانما هو وقت النضال ، وليس عندى ما اقولهُ سوى دعوتكم جميعا للخروج فى هذه اللحظة ، والانضمام الى مركز التدريب » .

وهكذا خرج الطلاب ييحئون عن تلك المراكز التى كان يجرى اعدادها على عجل (٥٢) .

لقد احب الدكتور انيس مصر وعشق تاريخها ، فعبر بفلمه وفكره عن قضايا وطنه ، ووجه درس التاريخ الاجتماعى — وبخاصة بعد وصوله الى كرسى استاذية التاريخ فى جامعة القاهرة — وهو الدرس الذى يرى ان المحرك الاول لتسير التاريخ هو الشعب ومن هنا حاول ربط الحركة التاريخية فى مصر بابرار دور المقاومة الشعبية ، ورد اعتبار الشعب المصرى ومسيرته فى صنع الاحداث ، ومقاومة الوطنيين للنفوذ الاستعمارى بكافة اشكاله ، وابرار دور الحركات الوطنية فى مواجهة الاحتلال ، كما تصدى لدور المدرسة الاستعمارية التى ترى ان استمرار حركة التغريب هى الطريقة المثلى للحاق الشرق بالغرب ، وان مواكبة الغرب والتبعية له ضرورة حيوية لاتقاذ الشرق من برائث التخلف وانطلاقا من ذلك وجه الدكتور انيس تلاميذه فى الدراسات العليا الى التركيز على دراسة الحركات الوطنية فى مصر ، وثورات التحرر فى العالم العربى ، ودراسة القوى الاجتماعية ، ودورها فى مواجهة الاستعمار والمتبلة فى الحركات العمالية والطلابية والفلاحية وطبقة المثقفين ، وقد خرجت على يديه عشرات الرسائل فى هذا المجال نذكر منها رسالتى الدكتور عبد العظيم رمضان الماجستير والدكتوراه « تطور الحركة الوطنية فى مصر من ١٩١٨ الى ١٩٣٦ » و « تطور الحركة الوطنية فى مصر من ابرام معاهدة ١٩٣٦ الى بداية الحرب العالمية الثانية » ورسالة

(٥٢) الأهرام فى ١٩٨٦/٩/٧ مقال للدكتور عادل غنيم تحت عنوان « محمد انيس .. المؤرخ الوطنى الذى نقفنا » .

الدكتور على بركات للدكتوراه « تطور الملكية الزراعية في مصر وأثره على الحركة السياسية ١٨٤٦ — ١٩١٤ » ورسالة الدكتور مصطفى النحاس جبر للماجستير « سياسة الاحتلال تجاه الحركة الوطنية ١٩٠٦ — ١٩١٤ » ورسالة الدكتور نوال راضى للماجستير « الحركة العمالية وأثرها في تطور التاريخ السياسى في مصر ١٨٩٩ — ١٩٣٠ » ورسالة الدكتور عبد المنعم الجميلى للماجستير « الخديو عباس الثانى والحزب الوطنى » ورسالتى الدكتور عادل غنيم للماجستير والدكتوراه « الحركة الوطنية الفلسطينية من ١٩١٧ حتى ١٩٣٦ » و « الحركة الوطنية الفلسطينية من ثورة ١٩٣٦ حتى قيام الحرب العالمية الثانية » ورسالة الدكتور اسماعيل ياغى للماجستير « حركة رشيد على الكيلانى » ورسالتى الدكتور عبد الأمير العسكام للماجستير والدكتوراه « تاريخ حزب الاستقلال العراقى ١٩٤٦ — ١٩٥٩ » و « الحركة الوطنية في العراق ١٩٢١ — ١٩٣٣ » ورسالة عبد الله جندى أيوب للماجستير « كتاب الأمير عبد القادر الجزائرى ضد الفرنسيين في الجزائر » ورسالة أحمد صدقى الدجاني للماجستير « نشأة الحركة السنوسية ونموها في القرن التاسع عشر » ورسالة عبد الفتاح أبو عليه للماجستير « الدولة السعودية الثانية ١٨٤٠ — ١٨٩١ » ورسالة خيرية فاسمية للماجستير « الحكومة العربية في دمشق ١٩١٨ — ١٩٢٠ » وأدرب الخلق أن فترة طويلة ستبقى حتى يمكن دراسة المجالات التى دعا اليها الدكتور أنيس وفتح أبوابها ومد آفاقها خاصة وأنه كان يخوض غمار الأفكار الصعبة ولا يتقنع باليسير الهين دون أن يكل عزمه أو يفتر آراء ما يلقى من صعاب .

لقد كان الدكتور أنيس يكره النظام ومحاولات قهر الانسان ولم يكن يداهن أو يرائى بل كان كالمرآة الصافية متواضعا لا يضيق صدره أو ينقبض قلبه من مزاج . ومع غزارة علمه لم يكن يدعى المعرفة بكل شئ فإذا التبس عليه أمر من الأمور لم يجد غضاضة في أن يحيل سائله الى المصادر التى يمكن عن طريقها التحقق من المعلومة التى يريدها .

وتد زاد من محبة الطلاب للدكتور أنيس انه كان يحمل بين جنبيه قلبا كبيرا منعميا بالحب والاخلاص ، وكان انسانا عطوفا يحس باحساسهم

ويتألم لآلامهم ، ويتأثر بمشكلاتهم ومحنهم وأذكر أنه بعد هزيمة ١٩٦٧ واستمرار اعتداءات إسرائيل على مدن القناة ، واضطرار الحكومة المصرية الى تهجير أهالى القنال الى داخل البلاد علم الدكتور انيس فى اسرة أحد تلاميذه كانت ضمن المهجرين ، وأنها تعيش فى إحدى الخيام المعدة لذلك فأسرع بشراء بعض الهدايا لأطفال هذه الأسرة وأخذ يبحث عنها وسط خيام المهجرين بالقاهرة ، حتى قابل عائلها ، وكانت كلمات انيس العظيمة ذات أثر جميل فى نفس هذه الأسرة فقد خفت عنها لوعة ما هى فيه ، وأظهرت لها أن الدنيا ما تزال بخير .

أما مؤلفات الدكتور انيس وآثاره العلمية فقد كانت تعبر أصدق تعبير عن إيمانه بقدرات الشعب المصرى الخلاقة ، ومحاولاته المستمرة للوقوف ضد ظالميه ومغتصبى حقوقه فمن يقرأ دراساته وأبحاثه فى تاريخ مصر الحديث والمعاصر يجد فيها « بانوراما » لانتاجه الفكرى الذى يرتقى فوق أسلوب سرد الحوادث والوقائع ويتميز بالأصالة ، ويقوم على الدراسات المهضومة التى تخاطب العقل ، وتتغلز فى حب مصر والدفاع عن حقوقها بطريقة محببة للعقل والنفس معا ويشعر بأنه يقرأ لمؤرخ قادر على توصيل الحدث ونقله بطريقة صحيحة مؤثرة وكأنه يعيش فى العصر الذى يتحدث عنه وكأن الحدث يتمثل أمامه .

لقد ظل الدكتور انيس فى كتاباته يدعو الى نفى تراب النسيان الذى تراكم على صفحات الكفاح الوطنى سعيا وراء الأسرار والخفايا المجهولة ، وبحثا عن التراث الفكرى والحضارى فى أحشاء التاريخ . كما أنه طرق بابا جديدا للوصول الى ما هو غير متاح فى الكتب والوثائق المستهلكة الا وهو الحصول على مذكرات السياسيين الذين شاركوا فى الأحداث ثم دراستها واستخلاص ما بها من أسرار وأخبار ، والربط بينها وبين شتات المتفرقات التاريخية والحقائق المضطربة المتنازعة بحثا عن الحقيقة الواضحة الأركان وقد نجح فى ذلك الى حد كبير .

ومع أن اهتمامات الدكتور انيس تركزت فى دراسة تاريخ مصر المعاصر والبحث فى دهاليز هذا التاريخ بحثا عن شخصياته المحركة فانه لم يغفل أيضا دراسة الحكم العثمانى للوطن العربى وأثره .

وتناول الدكتور أنيس في كتاباته التاريخ الأوربي في محاولة منه لإبراز أهمية التفسير الاقتصادي في فترة انتقال أوربا الى العصور الحديثة .

وبالنسبة لتاريخ مصر الحديث فقد ألف الدكتور أنيس كتابا بعنوان حضارة مصر الحديثة تناول فيه الاتجاهات الهامة في تطور مصر السياسي والاقتصادي والاجتماعي خلال العصر الحديث .

وفيما يخص تاريخ مصر المعاصر أصدر الدكتور أنيس كتابا بمناسبة اشتراك مصر في مؤتمر باندونج في عام ١٩٥٥ وكان عنوانه «المؤتمر الآسيوي الأفريقي» أوضح فيه أسباب انتهاج مصر لسياسة الحياد الإيجابي والتعايش السلمي . وفي عام ١٩٥٨ وبعد قيام الوحدة بين مصر وسورية أصدر الدكتور أنيس كتابا بعنوان «دراسة القومية العربية من الناحيتين النظرية والتاريخية» أوضح فيه أن الوحدة العربية هي السبيل الأمثل لحركة النضال الوطني في العالم العربي ، وأن مصر قلب العروبة النابض ورائدة الكفاح ضد الاستعمار ستظل مركز الثقل في العالم العربي .

وفي عام ١٩٦٢ أصدر الدكتور أنيس كتابا تحت عنوان «صفحات مطوية من تاريخ الزعيم مصطفى كامل» وانفرد فيه بنشر رسائل جديدة لـ مصطفى كامل من ٨ يونيو ١٨٩٥ الى ١٩ فبراير ١٨٩٦ ترتبط في معظمها بعلاقته مع الخديو خلال هذه الفترة .

وفي عام ١٩٦٣ نشر كتابه «دراسات في وثائق ثورة ١٩١٩» وهو يحوى المراسلات السرية بين سعد زغلول وعبد الرحمن فهمي السكرتير العام للجنة الوفد المركزية وهي توضح العديد من النقاط الغامضة خلال اشتعال الثورة ودور عبد الرحمن فهمي في ضم العمال خلال الثورة .

وفي عام ١٩٧٢ ينشر كتابه «٤ فبراير ١٩٤٢ في تاريخ مصر السياسي» وهو عبارة عن مجموعة مقالات كان قد نشرها في الاهرام في عام ١٩٦٧ وتتمثل قيمة هذا الكتاب في أن صاحبه فتح للمؤرخين بابا جديدا باعتماده على الوثائق البريطانية في تحديد مسؤولية الوفد في هذه الحادثة وربطه للأحداث في اطارها الدولي ، وبحكم فكره التقدمي استطاع ان يثبت ان الامر يرجع الى رغبة بريطانيا في الاستناد الى قوة شعبية

ممثله في حزب الوفد . وهذه الرغبة دفعتها الى ما حدث وهذا يؤكد في النهاية نفى المزاعم التي ترددت حول عمالة النحاس للانجليز وتورطه في الامر .

وفي عام ١٩٧٢ ايضا صدر له كتاب بعنوان « حريق القاهرة ٢٦ يناير على ضوء وثائق تنشر لأول مرة » وهو عبارة عن مقالات كان قد نشرها بالاهرام في عام ١٩٦٩ وقد حصر فيه مسئولية حريق القاهرة في المخابرات البريطانية والقصر الملكي .

وفي عام ١٩٧٣ نشر اوراق حسن باشا نشأت تحت عنوان « صفحات مجهولة من التاريخ المصرى او سنوات الصراع العنيف بين عباس وفؤاد » وقد تعرض فيه للدور الذى لعبه الملك فؤاد لمنع الخديو عباس من العودة الى مصر .

وفي عام ١٩٨٤ نشر الدكتور محمد أنيس مجموعة محاضراته التى كان قد القاها على طلاب المعهد العالى للدراسات الاشتراكية في عام ١٩٦٥ في كتاب تحت عنوان « تطور المجتمع المصرى من الاقطاع الى ثورة ٢٣ يوليو » .

هذا عما كتبه الدكتور أنيس في تاريخ مصر المعاصر وأما فيما يخص التاريخ العثمانى فقد تعرض في كتابه « الدولة العثمانية والمشرق العربى ١٥١٤ — ١٩١٤ » لمسئولية الدولة العثمانية عن تخلف العالم العربى ، وكان من يرون أن النظام العثمانى نظام اقطاعى ، وأن العثمانيين سبطروا على العالم العربى بقوة السلاح ، وأنهم جنس غريب عن العرب ، ولم يفكروا قط في العمل لمصلحة العرب .

كما كتب الدكتور أنيس دراسة بعنوان « مدرسة التاريخ المصرى في العصر العثمانى »^(٥٣) تعرض فيه لكتابات المؤرخين المصريين خلال هذه الفترة ، وناقش محتويات هذه الكتابات والمدارس التى ينتمى اليها أصحابها وإلى جانب ذلك نجد ثلاث دراسات عن المؤرخ عبد الرحمن الجبرتى الذى

(٥٣) قام معهد الدراسات العربية العالمية بنشر هذه الدراسة في عام ١٩٦٢ .

عاصر اجزاء من تاريخ مصر العثمانية وهى « الجبرى بين مظهر التقديس وعجائب الآثار »^(٥٤) . و « حقائق جديدة عن عبد الرحمن الجبرى مستمدة من وثائق المحكمة الشرعية » وقد اعتمد فيها على وثائق المحكمة الشرعية^(٥٥) و « الجبرى ومكانته فى مدرسة التاريخ المصرى فى العصر العثمانى »^(٥٦) وقد تعرض فيه لأهم مصادر تاريخ مصر العثمانية ، وأسباب تدهور التأليف التاريخى فى العصر العثمانى وقد قسم المؤرخين فى هذه الفترة الى ثلاثة اقسام وهى :

مدرسة المؤرخين التقليديين ، ومدرسة التراجم ، ومدرسة الأجناد ، ثم بدأ يوضح مميزات الجبرى على غيره من المؤرخين وكبف كتب مؤلفاته وأهمية هذه المؤلفات فى ميزان التاريخ .

وأما عن كتابات الدكتور أنيس فى التاريخ الأوروبى فقد ألف كتابا بالاشتراك مع الدكتور سعيد عاشور تحت عنوان « النهضة الأوربية فى أواخر العصور الوسطى » .

وآلف كتابا بالاشتراك مع الدكتور محمد فؤاد شكرى تحت عنوان « أوروبا فى العصور الحديثة من النهضة الإيطالية حتى الثورة الفرنسية » .

كما نشر محاضراته عن « تاريخ أوروبا بين الحربين العالميتين » فى عام ١٩٧٨ .

وفى تناول الدكتور أنيس لتاريخ الأوروبى ركز على أثر التاريخ الاقتصادى فى انتقال أوروبا الى العصور الحديثة ، وأثر الطبقة البرجوازية فى انشاء المدن .

وفى مجال دراسة الوثائق شارك الدكتور أنيس فى كتاب تحت عنوان وثائق ونصوص فى التاريخ الحديث والمعاصر .

(٥٤) نشرت هذه الدراسة فى مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة المجلد ١٨ ج ١ مايو ١٩٥٦ .

(٥٥) نشر بالمجلة التاريخية المصرية فى عام ١٩٦٢ .

(٥٦) أنظر عبد الرحمن الجبرى دراسات وبحوث ، القاهرة ، الهيئة العامة للكتاب ص ٩٥ — ١٢٣ .

وقد اختار الفترة المعاصرة التي تبدأ باعلان الحماية حتى مشروع تمويل السد العالي في عام ١٩٥٨ وذلك بغرض توعية الطلاب بقضايا بلادهم (٥٧) .

ومن يتصفح هذه المؤلفات بعناية يتبين له أن الدكتور أنيس لم يركز اهتمامه في مؤلفاته على الأحداث السياسية والوقائع الحربية التي كان ينصرف اليها اغلب اهتمامات مؤرخى عصره بل اهتم بابرار الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والعقلية وغيرها من مظاهر الحياة الانسانية ، فكان حكمه على الأحداث شاملا ومتزنا ، وكانت طريقته في هذا المجال نبراسا يحتذى به ، هذا الى جانب الابتعاد عن السرد التاريخي والاهتمام بالجانب التحليلي ، والكشف عن كل ما هو جديد من الوثائق ونقدها .

ومن المعروف أن آراء الدكتور أنيس لم تقتصر على كتبه فحسب بل هناك مقالاته العديدة في الصحف والمجلات وهى تحل اشاعات فكره ، ولو انها جمعت لشكلت تراثا هاما . وفي الحقيقة انه فكر خلال أيامه الأخيرة في تجميع هذه المقالات في كتاب كبير حتى لا يطويها النسيان وكان قد كاف كاتب هذه الدراسة بمهمة القيام بتجميع هذه المقالات وتصنيفها الى قسمين : المقالات التاريخية والمقالات الثقافية وقد قمت بتجميع بعضها فعلا ، ولكن اعارتى المفاجئة الى الملكة السعودية ، ثم وفاته المفاجئة أيضا قد حالتا دون اتمام هذا المشروع والامل يحدونا للقيام بهذه المهمة مع بعض تلاميذه في القريب العاجل ان شاء الله .

ولم يقتصر دور محمد أنيس على تدريس التاريخ داخل اسوار الجامعة بل لقد جعل منه قضية عامة وجماهيرية يشارك فيها كافة أبناء الشعب فنشر مقالاته التاريخية في الصحف عن حادث ٤ فبراير ١٩٤٢ وحريق القاهرة في يناير ١٩٥٢ وقد لاقت هذه المقالات اقبالا شعبيا منقطع النظير

وكان الدكتور أنيس ينشر مقالاته التاريخية والسياسية في جريدة

(٥٧) عاصم دسوقي : محمد أنيس ودوره في تعقيل دراسة التاريخ بالجامعة المصرية ، المجلة التاريخية ١٩٧٤ ص ٣ — ١٣ .

الجمهورية ، كما شارك بجهوده في مجلة الكاتب التي كانت تصدرها وزارة الثقافة .

ولم تقتصر جهود الدكتور أنيس العلمية على ذلك بل كانت له اليد الطولى في انشاء مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر بهدف المحافظة على الوثائق ، ونشر الأبحاث الرصينة في تاريخ مصر المعاصر ، وتصدي بموضوعية الباحث الوطنى لمحاولات نهب الوثائق المصرية .

كما رأس مركز الدراسات التاريخية بالاهرام وقسم الأبحاث بجريدة الجمهورية ، وإلى جانب ذلك انضم الى الهيئة العليا لحزب الوفد بعد اعادة تكوينه في السبعينات .

هذا عن نشاط الدكتور أنيس داخل مصر ، أما خارجها فقد عمل استاذاً بجامعة الجزائر والعراق ، واليمن الشمالية ، كما عمل مستشاراً ثقافياً لامارة أبو ظبي وخلال ذلك قدم أثراً واضحة للعيان سواء بالاسهام في انشاء قسم من اقسام التاريخ أو اصدار مجلة علمية أو كتابة بعض المقالات التاريخية في الصحف .

ومما سبق يتضح أن التاريخ عند الدكتور أنيس لا يعدو أن يكون محاولة للإجابة عن بعض المشكلات التي تواجه مصر ، لذلك كانت طريقته في المعالجة هي تحديد المشكلة ثم محاولة إيجاد الحلول لها بطريقة تتميز بالأصالة والعمق .

ان مشكلة الدكتور أنيس أنه عاش في عصر شديد التعقيد مليء بالتحديات ، عصر تشفت فيه الأنانية ، وانعدم فيه الوفاء والاخلاص فمع أنه أحب ثورة ٢٣ يوليو تعذب بسبب أخطائها ، ومع أنه احترم أفكار قادتها لم يسترح الى كثير ممن نسبوا أنفسهم اليها . ومع أنه تعرض للكثير من العنت وسوء الفهم حتى من جانب بعض المقربين اليه فانه كان يتميز بالسماحة وصفاء القلب ، وكان رده على هؤلاء هو الابتسامة وفتح أبواب الحوار لازالة أى خلافات دون مجاملة في الحق أو في موقف يعتقده .

لقد صورته أعداؤه وبعض من لا يعرفونه جيدا كرجل مثلكس يميل الى اختلاق المشاكل ، ولكن الواقع انه كان صاحب شخصية متميزة لها طابعها الخاص ، وصاحب ارادة قوية لا تتبدل ولا تتغير باختلاف الظروف والاحوال ، كما انه كان صاحب نفس كبيرة ، ووطنية مثالية دافقة ، وحب بارز لتاريخ مصر وخاصة الحديث منه والمعاصر .

لقد ترك الدكتور أنيس فراغا كبيرا في قلوب تلاميذه وأصدقائه ومقدري علمه ، كما ترك فراغا كبيرا في ميدان الدراسات التاريخية والبحث العلمى ، وانه ليعز علينا أن يختفى هذا الكوكب اللامع الذى لم تهادننه الأيام بصروفها ونوائبها ، ومع ذلك ظل منافعنا عن الحق في شدة ، مجاملا في عزة ، ودودا في رقة ، وتثير احاديثه العجب والاعجاب والدهشة والتساؤل . فكان بذلك من الأفاض الذين شقوا طريقهم بفكرهم والى جانب ذلك كان قلمه في يده « كالبلعج في يد الجراح الماهر لا يشق الا بتقدير ولا يقطع الا بقدر » واننى اغبط نفسى اذ عاصرتُه ولازمته وتلمذت عليه .

لقد عاش الدكتور أنيس معتزا بنفسه لا يتقن فن التملق والزلفى او المداينة ، يعرف قدر نفسه جيدا ، وهذه كلها صفات أهله لأن يعيش فقيرا وأن يموت فقيرا .

وفى النهاية يمكن القول انه بفضل هؤلاء الرواد وغيرهم شقت المدرسة التاريخية المصرية طريقها بخطوات متقدمة الى درجة لم يعد تاريخنا حكرًا على دراسات المستشرقين بل أخذنا منهم وأعطيناهم ، وشاركناهم ونافسناهم في الدراسات التاريخية الجادة لدرجة ان الباحث الأوربى أو الأمريكى الذى يكتب عن تاريخ مصر أصبح لا يمكنه الاستغناء عن الرجوع الى كتابات المؤرخين والباحثين المصريين حول موضوع بحثه .

وهذا يعنى أن تطور الدراسات التاريخية في مصر واتباع المنهج العلمى ، والسير على قواعده قد أصبح أمرا واقعا ، ومعلما رئيسيا لا يستطيع احد أن ينكره أو يتجاهله كما يعنى أن أساتذة وباحثى المدرسة التاريخية المصرية أوجدوا كما ضحوا من الدراسات الموضوعية الجادة التى شملت تاريخ مصر بكافة جوانبه .